على طاولة " المستديرة

فن النحت العراقي...الملامح والبحث عن الخصوصية

النحت العراقي....ندوب على ذاكرة الوطن

جمال كريم

٢-٢
■ النحات ليث فتام الترك : عتبي كبيرعلى أمانة العاصمة لطلاء النصب والتماثيل
■ النحات هادي عباس : تشكيل هيئة مستقلة بعيدة عن أية تبعية
■ النحات ناصر السامرائي : لفن النحت العراقي اتجاهان
■ الفنانة كريمة هاشم : أقترح ان يكون معهد الفنون الجميلة مختلطا
■ الفنان ضياء الخزاعي: ليست هناك تقاطعات بين الفنون

توقفنا في القسم الاول من الندوة التي أقامتها مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون حول فن النحت العراقي عند تساؤل النحات نداء كاظم : نحن لدينا موروثات فنية عريقة، لكن لماذا نهمل كل ذلك؟ وتساءل أيضا لماذا لانبدأ مع مدرسة بغداد ونعود الى الفنان الراحل جواد سليم؟.

النحات ليث فتام الترك : نحن لم نكن مخلصين لجواد سليم مثلما أخلص له اسماعيل فتام الترك

في القسم الثاني نبدأ مع مداخلة الفنان ليث فتاح الترك الذي كان حريصا في الرد على الفنان نداء كاظم حول رأيه بأممية أوعالمية الفن عند الفنان الراحل اسماعيل فتاح الترك أوضح الفنان النحات ليث فتاح الترك بالقول: في الحقيقة بالعكس ان هاجس –كما أرى– الفنان اسماعيل فتاح الترك، هو أن يكمل ما بدأ به جواد سليم، ولم يسع مطلقا لأي تقاطع معه، ولو نظرنا الى بعض اعماله التي وظف فيها موروثا سومريا، كالوقفة والزي والملامح، لكنه وظف المعاصرة أيضا، لذلك أجزم قائلا، نحن لم نكن مخلصين لجواد سليم مثلما أخلص له الفنان اسماعيل الترك.

النحات ناصر السامرائي: جيل النحاتين الان متأثر باتجاه جواد سليم

وعن غياب المحترفات الفنية في العاصمة بغداد وكذلك بقية المدن العراقية الاخرى، داخلنا الفنان النحات ناصر السامرائي موضحا: قبل أن أبدأ بالحديث عن غياب المحترفات أود أن أقدم وجهة نظر لما تقدم به الفنانان نداء كاظم وليث فتاح الترك، لأقول : ان للنحت العراقي اتجاهين، اتجاهاً يمثله جواد سليم واتجاهاً آخر يمثله خالد الرحال وكل واحد منهما له خصوصية معينة، كما أن لكل النحاتين المهمين الاخرين في العراق خصوصيتهم أيضا، ولهم طلابهم الذين تأثروا بالاتجاهين المذكورين، مثلا، محمد غني حكمت وحسين الهنداوي وأسماء أخرى اشتغلت على منوال اتجاه خالد الرحال، خاصة .انه من النحاتين العراقيين البارزين والمهمين جدا، فضلا عن امكاناته الاكاديمية المعروفة، كما له لمسة حسية عالية في الفورم، اذ انك تشعر أن وراء الفورم نحاتا متمكناً جدا، أما اتجاه جواد سليم واسماعيل فتاح واتحاد كريم وعبد الرحيم الوكيل، بل حتى صالح القرغولي، فهو الاتجاه المحدد بطريقة أو بوجهة نظر أوربية من خلال مدارسها وتياراتها واتجاهاتها المعروفة، ولكن هذا لايمنعنا من القول، أنهم قدموا الموضوعة العراقية دون أن نغفل عمليتي التأثير والتأثر، ولو أخذنا مثلا اعمال الفنان صالح القرغولي، سنجد انه قدم أعمالا حديثة، لكن من جانب آخر سنجد ان لا علاقة لها بالتمثال السومري،، لكن علاقتها بالموضوع، علاقتها بالتمثال السومري أنه استعمل مادة" القير"، هذا القير الذي فيه نكهة أكد وبابل، من هنا أقول، أن الخصوصية التي نستطيع أن نفرزها مع المزاوجة بالمدارس الحديثة، المعاصرة، فلو سافرت الى أوربا لغرض الدراسة فانني بكل تأكيد سأتأثر بأكاديمي أوربي وأتأثر بالمعاصرة، بالحداثة الفنية والرؤى والتكوين،لكنني حين أقدم موضوعا فانه سيكون عراقيا وبأساليب فنية حديثة، مثَل ما عمل الراحل اسماعيل فتاح الترك، وله عدة أعمال، منها "أبوالبيرق" هذا البيرق الجنوبي، الذي يمثل تقليداعراقيا، لكنه قدمه بشكل حديث، بالموضوعة محلية، الاانه وظف الحداثة الفنية في تشكيلها، ذلك بحكم دراسته واحتكاكه في الحداثة الاوربية، ولو نأتي الى جيل النحاتين الآن،فان أغلب الأعمال التي يقدمها –لاأريد أن أظلم أحدا– متأثرة باتجاه جواد سليم، فالحداثة واضحة،المواضيع هي بكل تأكيد انسانية ومن جذور وصميم حياتنا العراقية.

وفي عودة لموضوعة المحترفات الفنية تحدث السامرائي قائلا: في الحقيقة انا في هذا الجانب أحسد الرسام، اذ بامكانه أن يشتغل بأي مكان، لكن هذا لايتحقق معنا نحن النحاتين، من جهة اخرى علينا أن نتساءل أين تكمن أهمية المحترف بالنسبة للنحات؟

أقول ان النحات اذا لم يجلس في محترفه ليرى آلاته وأدواته ومواده موجودة وكل شيء متوفر له، فضلا عن تآلفه مع المكان، مع نفسه، فأنه لاينتج، عكس ذلك، سيبدأ بالانتاج بشكل يومي بل لن ينقطع عن العمل، واذا عمل النحات يشكل يومي فان ذلك، سيجعله منتجا ومحتكا في الوسط والمتلقي، وواحدة من المسائل المهمة التي رافقت ابداع الفن النحتي في العراق هو وجود أعوامئذ المشاغل، فقد كان لجواد سليم مشغله الخاص به، كما كان لاسماعيل الترك مشغله، ولخالد الرحال مشغله،لذلك أنتج هؤلاء النحاتون الكثير من الاعمال الفنية البارزة بل الخالدة في هذا الفن.

وأكد السامرائي : ان الوضع المادي المعيش المعروف لدى الجميع يعيق النحات العراقي عن أن يستأجرله مكانا مقابل بدلات ايجار مادية،خاصة ان اكثرهم بلا مردودات مادية، أضف الى ذلك مسألة الالات والادوات، فالرسام مثلا، يجد وسائل تعبيره متوفرة في السوق كالألوان والزيت والفرشاة وغيرها، لكن النحات لايجد بعض وسائل تعبيره في السوق المحلية لانها تستورد من ايطاليا أو بعض الدول الغربية الاخرى، أنا شخصيا بقيت خمسة عشرعاما لكي أحصل على مبارد من نوع معين..

النحات هادي عباس: النصب تسرق و تهشم لتباع في سوق الخردة

النحات هادي عباس قدم مداخلته عن امكانية تأسيس منظمة أو هيئة مستقلة خاصة بفن النحت تتبنى أرشفة

وتوثيق أو متحفة الاعمال النحتية العراقية، كما أنها تتبنى الحفاظ على النصب والتماثيل التي تتعرض الى السرقة أو الازالة والتهشيم ومن ثم بيعها في سوق الخردة، فتحدث قائلا: قبل كل شيء علينا أن نعترف، بأن بعض النصب والتماثيل تتعرض الى اجراءات من قبل البعض الذين لاعلاقة لهم بما أنجزه النحات العراقي من ابداعات فنية، بتعبير ادق،لايمتلكون أية ثقافة أو معرفة تجاه هذا الفن، حتى في الصيانة، فأمانة العاصمة،مثلا، ترسل عددا من العمال ليشوهوا النصب والتماثيل بأصباغ عادية.

وأضاف عباس: ان تأسيس منظمة أو هيئة فانها تتوقف على مجموعة من الاكاديميين والنحاتين وبخاصة الذين يعيشون داخل الوطن، بطبيعة الحال، يفضل أن تشكل لجنة ولابأس بأن تكون برئاسة الفنان نداء كاظم باعتباره يمثل امتدادا للاجيال السابقة، فضلا عن اتصالاته بأغلب النحاتين ومعرفته الوثيقة بأكثر الاكاديميين، وعلى ضوء ذلك يمكن تشكيل هيئة مستقلة، لكنها تحتاج الى دعم، اذ لايمكن أن تمارس أنشطتها بدون دعم مادي، ويفترض أن تكون بعيدة عن اية تبعية بما في ذلك وزارة الثقافة، ويقوم أعضاؤها البارزون بالاتصال بالجهات والشخصيات الذين يساهمون بدعم الهيئة.

النحات ليث فتاح الترك: تقتلع نصب وتماثيل ولا احد يعرف لماذا تقتلع ؟

وعلق النحات ناصر السامرائي بالقول: يمكننا الاتصال بالفنانين المقيمين في المهاجر، لمد الجسور بيننا، اضافة الى امكانية دعمهم للمنظمة المزمع تشكيلها.

وفي ختام مداخلته أكد عباس : من الضروري جدا تأسيس الهيئة أو المنظمة لانها ستشرف على كل شؤوننا ومتعلقاتنا التي تصب في خدمة وتطوير فن النحت العراقي.

وحول ظاهرة طلاء النصب والتماثيل في العاصمة بغداد والمدن العراقية الاخرى بدهانات أو أصباغ تسيء الى جمالية تلك الاعمال التي انتجها النحاتون العراقيون المبدعون،قدم النحات ليث فتاح الترك مداخلته بالقول: في البداية أقول، هناك اقتلاعات جذرية لبعض النصب، وهذا ما يثير الاستغراب، حتى انني عندما أتساءل لماذا أقتلع هذا النصب، لاأجد جوابا لذلك، لاننا أصلا لانعرف أية جهة تقوم بذلك، من هنا، أتمنى وضمن توجهات الحكومة الان بفرض القانون واشاعة النظام، أن تقوم بحماية هذه الاثار الفنية، لانها من الممتلكات العامة للشعب العراقي، أما اذا كانت هناك ملاحظات على هذا العمل أو ذاك، يفترض أن تعقد ندوة حول قلع النصب لكي يتمكن الفنانون والمختصون من تقديم كل الخلفيات حوله، هل فيه ما يجرح مشاعر الشعب؟، أوفيه تجريح للدولة، أوللتأريخ؟ في هذه الحالة يمكن مناقشة كل ذلك، لكن أن أأتي بهذه الالات العملاقة لكي تعصف ببعض النصب والتماثيل وبدون تلك الخلفيات التي أشرت اليها، اعتقد أنه عمل فيه عجالة.

وأشار الترك : ان قلع الجندي المجهول من ساحة الفردوس ابان النظام السابق، وهو نصب كان من أروع الاعمال، نصب معماري غاية في الجمال، فقد كان قلعه بشكل بربري ووحشي، أنا شخصيا تحريت حول هدمه، وكانت الاجابات تاتيني لتؤكد لي أن هناك نصبا جديدا آخر للجندي المجهول ولايجوز أن يكون هناك نصبان، وتساءلت حينها لماذا لايجوز؟ فلم تردني إجابة منطقية ومقنعة الى اليوم.

واليوم للاسف الشديد تقتلع نصب وتماثيل ولااحد يعرف لماذا تقتلع؟ وهذا غير معقول في بلد متحضر، ومن المصادفة أنني تابعت برنامجا كاملا على فضائية المانية تناول النصب والتماثيل التي كانت موجودة في العهد النازي، وما زالت موجودة، فحين تغير النظام في المانيا، تبنى السياسيون الجدد فكرة ابقاء النصب ابان النظام النازي، على أن لاتشيد نصب تخلد الحروب أو تخلد المعارك والطغاة.

وأكد الترك خلال مداخلته : ان اقتلاع النصب دون الرجوع الى المثقفين والمختصين والمفكرين، أرى ذلك مأساة كبيرة ولاتليق بالعراق، أما فيما يتعلق بطلاء النصب، فعتبي كبير في ذلك على أمانة العاصمة التي كانت تحرص على مد الجسور القوية والمتينة بينها وبين المهندسين المعماريين والفنانين، فقد كانت لدينا صلات ووشائج قوية وغير اعتيادية مع الامانة، أما اليوم ونحن نعيش مرحلة الحرية والانفتاح، فانني أستغرب ما يحصل من قطيعة مع الفنان، فلا أحد يتصل به، وبخاصة أمانة العاصمة، لذلك ترى النصب والتماثيل تشوه جماليتها الطلاءات كيفما اتفق، نحن متحضرون ولايجوز أن تعبثوا هكذا بتراثنا، أرجو من المسؤولين أن لا يتصرفوا دون الرجوع الى المختصين.

وتحدث مقرر الندوة عن دور المعاهد والاكاديميات في تفعيل وتنشيط فن النحت ومعايير قبول الطلبة في القسم المخصص لدراسته –فن النحت–، بالقول :في الحقيقة لدينا مؤسسات ومعاهد وكليات فيها أقسام لمختلف الفنون الجميلة، وهي بلا شك لها دور في رعاية المواهب الفنية وتنميتها وصقلها من خلال دروسها النظرية والعملية، فضلا عن رعايتها للفنون الجميلة ذاتها، ومنذ تاسيس أول معهد في العراق وأول اكاديمية، كان القبول في اقسامهما على أساس الكفاءة والموهبة من خلال الاختبارات الدقيقة والمكثفة، لكن ذلك للاسف فيما بعدغاب هذا التقليد، حيث يقبل الطالب في قسم الرسم وهوليس برسام ويقبل الطالب في قسم النحت وهوليس بنحات ويقبل الطالب بقسم المسرح وهوليس بمسرحي،يدرس مثل هؤلاء الطلبة في المعاهد والكليات الفنية، ليتخرجوا معلمين أو مدرسين وهذا ماله مردودات سلبية على فوننا الجميلة بعامة.

الفنانة كريمة هاشم : نحن معنيون باعادة النظر في تأسيس معاهد الفنون الجميلة

مديرة معهد الفنون الجميلة للبنات الفنانة كريمة هاشم قدمت مداخلتها حول دور المعاهد ومعايير القبول بالقول: أتذكر حين قبلت في معهد الفنون الجميلة عام ١٩٨٠، كان بعض طلبة الصف الخامس يقولون لنا ان جيلكم لن يقدم شيئا للفن العراقي، مؤكدين أن دور المعهد سيتوقف عن العطاء عند جيلنا، في الحقيقة منذ مطلع الثمانينيات كانت الرؤية للخراب غير واضحة في مجال الفن وبخاصة في اروقة واقسام معهد الفنون الجميلة، في وقت كانت المنافسة الفنية والجمالية على اشدها بين طلاب المعهد وطلاب الاكاديمية، أنا على سبيل المثال خزافة، درستني نخبة من الفنانين والاكاديميين امثال، محمد مهر الدين، هاشم الطويل، رافع الناصري،ميران السعدي، ومن اولئك الفنانين، اكتسبت ثقافة وخبرة والماماً، بحيث تعرفت على قدراتي واين يمكن أن اتخصص؟

وذكرت الفنانة كريمة هاشم: ان معاهدنا كما هو معروف، مرتبطة بوزارة التربية، التي حددت الدروس مابين خمسين بالمائة نظري ومثلها عملي، كما انه تم استبدال وظيفة عميد للمعهد بوظيفة مدير، هذه التغييرات أثرت على مجمل نشاطات المعهد، فاخذ بعض الاساتذة المميزين من الاجيال السابقة يتسربون ولاسباب شتى، ليحل محلهم جيل آخرمن خريجي الدورات الحديثة، فبرزت لدينا مشاكل كثيرة منها، مشكلة الاساتذة الاكفاء، ومشكلة نوعية الطلبة الذين جل طموحهم ان يتخرجوا معلمين، وليس بالضرورة أن يكون فنانا.

وفي سؤال للمدى عن كيفية قبول مثل هؤلاء الطلبة، أجابت كريمة هاشم قائلة : في عام ١٩٨٤ تم الغاء قرار أن يكون مديرالمعهد فنانا، واتذكر عامئذ انهم عينوا مصعب الراوي مديرا للمعهد وكان وهويرتدي بدلته العسكرية يحاسب الطلبة الذين يرتدون ملابس الدروس العملية،وبدأت معاهد الفنون الجميلة تتردى شيئا فشيئا، لكننا بعد سقوط النظام السابق حولنا اعادة العمل بقرار ان يدير المعهد فنان له علاقة وصلة باصالة وثقافة الفن، وقد رسخنا هذا التقليد من خلال الندوات والملتقيات، وحين أصبحت مديرة للمعهد تقدمت للسيد خضير الخزاعي وزير التربية بمذكرة تتضمن استقدام عناصر تدريسية كفوءة دون الالتزام بقرار منع الاساتذة التدريس بمعاهد البنات، وكان شائعا ان هناك تهديدات باغتيال المدرسين الذين يعملون بمثل هذه المعاهد، وقد لقيت تجاوبا كبيرا من قبل السيد الوزير في كل ما تقدمت به،وفعلا انضمت الى المعهد نخبة طيبة من الاساتذة والفنانين المعروفين.

واوضحت كريمة هاشم: ان الطالبة المتقدمة للقبول بالمعهد، تخضع لاختبار من قبل لجنة مشكلة برئاستي ومشاركة رئيسات الاقسام بكل اختصاص، بغض النظر عن امكاناتها الحقيقية في حقل اختصاصها، لانها قد تكون جيدة في المادة النظرية آنذاك، مما يجعلهم يمنحونها هذه الدرجة الوظيفية، لذلك مشاركتها في اللجنة لابد منها، فضلا عن ذلك أنا ملزمة بقبول ١٦٠ طالبة سنويا، من هنا، ومن خلال هذه الندوة، أقترح دمج الطلبة والطالبات في معهد الفنون الجميلة أي ان يكون مختلطا، ويفضل أن يتبع المعهد لوزارتي التربية والثقافة، وتقع على الاولى مسؤولية الجانب الاداري،فيما تقع على الثانية مسؤولية الجانب الفني،وأن يكون الكادر التدريسي من الاسماء اللامعة في الفن العراقي،و له تأريخ وخبرة في مجال اختصاصه، ويتم قبول الطلبة في المعاهد بالدرجة الاساس على الموهبة، ومن خلال الاختبارات العملية الجادة التي تجريها لجنة متخصصة، حيث يتم تقييم الطلبة تقييما فنيا دقيقا وعلى ضوء ذلك يتم القبول، باختصار نحن جميعا معنيون باعادة النظرفي تأسيس معاهد الفنون الجميلة من جميع الجوانب الهيكلية منها والفنية.

الدكتورجواد الزيدي علق على قبول الطالب قائلا: في الحقيقة ان قبول الطلبة في المعاهد والاكاديميات يتم وفق المعايير نفسها، حيث القبول الخاص، فضلا عن وجود لجنة مختصة تختبر الطالب لتؤهله للقبول،دون أن ننسى معايير أخرى كالمعدل مثلا، أما مسالة لماذا كان الطلبة مميزين والان غير ذلك، أقول أن هناك خرقا في لجان القبول الموجودة، حيث ان أغلب هذه اللجان مرشحة ومشكلة من أعضاء ضعفاء.

وتحدث الفنان ضياء الخزاعي عن بعض المشتركات بين الفن التشكيلي وفن النحت بالقول : في البداية لدي مداخلة حول ما تحدث به الزملاء، لقد انتبهت الى نشأة القاعات الفنية الاهلية، فوجدتها تحافظ على مستوياتها الفنية، للاسف الشديد أقول ان أغلب اساتذة المعاهد والكليات للفنون الجميلة، ترفض تلك القاعات استقبال اعمالهم ولاسباب ابداعية، كما أرى، طيب مثل هؤلاء الاساتذة كيف سيخرجون طلبة سيكون لهم حضور في ساحة الابداع العراقي، لذلك أنا أجزم بأنه سيخرجون طلبة فاشلين، يبحثون عن وظائف ادارية فيما بعد، كما ان هناك قضية مهمة لابد من الاشارة اليها، وهي ان الدولة تبذل جهودا كبيرة من اجل الفنان، وهذه الرعاية تستحق الاحترام، فضلا عن الاخلاص لاهداف الفن الانسانية والجمالية، اتذكر ان وفدا فنيا من المانيا زارنا عام ١٩٧٦ وكنت عامئذ طالبا في المرحلة الثالثة أو الرابعة في اكاديمية الفنون الجميلة، وكان الراحل اسماعيل الشيخلي يلقي علينا درسه الاكاديمي، فسالوا الشيخلي،هل تبحثون عن الطلبة المميزين أم هم يأتون اليكم الى الاكاديمية ومن ثم تجرون لهم اختبارا؟ فاجابهم : هم يتقدمون الى الاكاديمية فنجري لهم الاختبار، فقالوا : لايجوز، المفروض ان تذهبوا أنتم الى المدارس لاكتشاف المواهب !، بأختصارأنا أدعوالى اعادة النظر بأشياء كثيرة، سواء بخصوص الدراسة أو القبول.

وأوضح الخزاعي : كل العالم يعرف أن ليست هناك فواصل بين الفنون، فالرسام، مثلا، عليه أن يشاهد المسرح ويسمع الموسيقى وما الى ذلك،أو قد يكون عازفا أو نحاتا اضافة الى امكاناته في فن الرسم، باختصار ليست هناك تقاطعات بين الفنون.

وقبل اختتام الندوة اتفق المشاركون على جملة من التوصيات المتعلقة بفن النحت العراقي.

التوصيات

١- اعادة الاهتمام بالمحترفات الفنية وتفعيل مصاهر النحت في بغداد او مثيلاتها في المحافظات.
٢- المبادرة من قبل جهات حكومية او اهلية الى فتح او تأسيس معاهد وكليات فنون اهلية رديفاً للكليات والمعاهد الحكومية.
٣- إختيار فنانين اكفاء تقنياً وعلمياً ضمن الكوادر التدريسية في كليات ومعاهد الفنون الجميلة.
٤- التأكيد على البيوت التراثية وتشغيلها كمراكز ثقافية او متاحف فنية كبيرة.
٥- إدامة الصلة بين امانة العاصمة وبلديات المحافظات مع الفنانين لأشراكهم في اختيار النصب ولوحات الشوارع واماكنهم فضلاً عن عملية ترميم وصيانة المنحوتات عن طريق رابطة النحت.
٦- يعاد النظر في تفرغ الفنانين العاملين في مؤسسات الدولة لانجاز مشاريعهم الفنية
٧- التأكيد على ارشفة النحت كجزء من منظومة بصرية وثقافية يعود اليها الدارسون والباحثون لتقييم فنون المرحلة.
٨- اعادة النظر في ايفادات الفنانين من تدريسيين ومحترفين لإغناء حركة النحت العراقي من اجل التواصل مع منجز الاخر واثره في المنجز العراقي اللاحق.
٩- إعادة النظر في سياسة القبول في كليات ومعاهد الفنون الجميلة ومن ضمنها المرشحون من الفنانين للتقديم الى الدراسات العليا.
١٠- فيما يخص الملحقيات الثقافية العراقية ندعو الحكومة الى اختيار ملحقين من الوسط الثقافي او الفني لادامة الصلة والتواصل مع الفنانين في الداخل والخارج وامكانية اشرافه على المراكز الثقافية ومنها المركز الثقافي في روما الذي يقع على عاتقه ايفاد الفنانين واساتذة الفن واقامة المعارض بالتنسيق مع وزارات الثقافة هناك
١١- تم الاتفاق على تأسيس رابطة النحاتين العراقيين ضمن اطار جمعية التشكيليين.